جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / المرحلة : الثالثة

المادة : فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة /

إشكالية الاختلاف بين التاريخ والفلسفة

.....

أ م د : نعمه بحر فياض

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

إشكالية الاختلاف بين التاريخ والفلسفة

أثار مفهوم التأريخ قديما وحديثا اهتمام جمهور كبير من العلماء والفلاسفة، وقد عبرت تلك الإثارة عن نفسها من خلال النتاج الواسع الذي تناوله علم التاريخ مصطلحاً وفكرةً وفن بوصفه احد ميادين العلم والمعرفة في العلوم الإنسانية ، ولعل من أبرز ما عرف من ذلك النتاج هو ما قد عرف به العلامة عبد الرحمن ابن خلدون والسخاوي والكافيجي وابن الأثير والمقريزي والعديد من أعلام المؤرخين غيرهم.

أما مضمون فلسفة التاريخ فقد تمثل من خلال طبيعة الرؤية لأحداث التاريخ والتطور الإنساني التي قدمها المعنيون بدراسة علم التاريخ ، وقد أصبحت الآليات التي أدت إلى تفعيل فلسافة التاريخ سواء تلك التي حاولت إزله البس والغموض عنها، أم تلك التي حاولت تجاوز ذلك البس في مضمون فكري جديد أكثر تعقيداً وأقدر على استيعاب السياق العام للأحداث التاريخية على ضوء المتغيرات المعرفية في إطار المرحلة التاريخية ، أصبحت تمثل فلسفة التاريخ ، على انها شكل ومضمون فلسفة التاريخ من خلال طبيعة الرؤية لأحداث التاريخ والتطور الإنساني التي قدمها المهتمون بالقضية التاريخية ، وأصبحت الآليات التي أدت إلى تفعيل فلسافة التاريخ سواء تلك التي حاولت تجاوز اللبس والغموض عنها ، أم تلك التي حاوات تجاوز ذلك اللبس من خلال مضمون فكري جديد أكثر تعقيداً وأقدر على استيعاب السياق العام للأحداث التاريخية على ضوء المتغيرات المعرفية في إطار المرحلة التاريخية ، أصبحت تمثل فلسفة التاريخ.

أولا : الإشكالية التأصيلية للتاريخ:

إن إشكالية "التأصيل" لمفهوم التاريخ، تدل بلا شك على أهمية هذا المفهوم ، فقد ارجعه الفيلسوف "هيجال" إلى اللاتينية بحثاً عن جذور ذلك المفهوم، وارجعه "جوزياف هاورل" إلى اليونانية باحثاً عن جذور لكلمة " histoire " الفرنسية، و"لاحظ "لويس جوتشلك" أن الكلمة ا"نكليزية " history " مشتقة من الكلمة اليونانية "هستوريا" والتي يقال عنها أنها كانت تعني حسبما استخدمها "أرسطو" "سرداً منتمي لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيباً زمنياً أم غير مرتبة في ذلك السرد" ، وقد قوبلت محاولات التأصيل الى العديد من المحاولات مماثلة لها في المشرق العربي الإسلامي، فقد نقل "هاملتون جب" عن "البيروتي " في كتابه "الآثار الباقية" و"الخاوارزمي" في كاتبه "مفتاح العلوم" تأكيدهما على خطاء الراي القائل بأن كلمة "تاريخ" معربة عن **الأصال الفارسي "ماء روز"** والتي يراد منها تعيين بدء الشهر، وفي مقبل ذلك "لاحظ الأصال السامي العام لكلمة "تاريخ" في كلمة عبرية **هي اياريح" أو "يرح"** والتي يقصد بها في اللغة المذكورة "الشهر". وقاد ذهب "حسين نصار" إلى أن **كلمة "يا ريح" تنتمي إلى الأصال العربي القديم والمشترك في اللغات السامية والتي تعني "القمر"، لا بل الشمس** كما انهم ارخوا تاريخهم على الليالي لا على الأيام كما هوه معروف بالتاريخ الهجري ويفهم من هذا الرأي تقويماً أكثر شمولية وايجابية لأن العرب القدماء كانوا يحادون شهورهم بالقمر " بالشامل كما أنهام يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام كما هو معروف في التقويم الهجري، في اللغة العربيَّة، وليل منقول إليها من لغات الأخرى هو الأقربُ إلى الصواب لأنَّه لو كان – هذا الفظ معرَّبًا ما اختُلف حول أصل اشتقاقه: **أهو مِن (أرَّخ) أو مِن (ورَّخ)!** ولما كان اختلاف قائمًا حول أصله بين القبائل العربيَّة، ولما فرَّق الأصمعيُّ بين لغة تميم وقيس، بقوله: **("بنو تميم يقولون)** ورَّخت الكتاب توريخًا**(، وقيس يقول تقاول) أرَّخته تأريخًا("وهذا اختلاف يؤكد كون لفظ كلمة تاريخ هو لفظاً عربياً)** .

ثانيا : الإشكالية الفكرية للتاريخ:

امتازت إشكالية التاريخ بأنها ذات وجو عديدة إذا ما كانت علاقتها بالفلسفة من جهة وعلاقتها بالعلم من جهة ثانية ، واذا كان الاستفهام الممثل بعلامتها الشهيرة " " عاملا مساعدا من اجل التوصل إلى معرفة المستفهم عنه، والقابع خلف تلك العلامة، والمحاط بالغموض والضبابية على

اختلاف درجاتها، فأن ذلك يوجب التوسل به من أجل المساعدة في معرفة وفهم طبيعة إشكالية المصطلح التاريخي والتعرف على أبعادها ، وتنقسم الإشكالية تبعا لهذ الأهمية البالغة إلى شقين التي كشفت النقاب عنها العديد من التساؤلات المهمة، والتي يدور أولها حول نسمية التاريخ وانتمائه، وهل ما إذا كان التاريخ علما بالمفهوم الفيزيقي، متمحور حول الموضع التاريخي أو المادة التاريخية، محاولا" علاج إشكالياتها والتنظير من أجل تقنينها، أم كان أقرب للأدب منه إلى العلم، ومن هنا تكون معالجته منطلقة من التمحور حول الذات أو عقال المؤرخ وهذا التساؤل أو استفهام ذو طابع فلسفي بامتياز.

ساعد التطور العلمي الذي زيادة وتيرته بسرعة كبيرة منذ القرن السابع عشر على ظهور دعاوات متكررة للمؤرخين للبحث في مناهج بحث تاريخية تكون لها القدرة على مواكبة التقدم في منهاج البحث مع باقي العلوم الطبيعية بهدف الوصول الى دقة اكثر في نتائج بحثها .

أما التساؤل الثاني فهو يدور مجال بحثه حول موضور التاريخ ، ولما كان التأريخ يؤرخ للذين دخلوا ولعبوا دوراً محورياً فيه وعملوا على تعديل مسارته البحثية ، فان هذا سوف يؤدي بالضرورة إلى التساؤل عن هويات أولاك اللاعبين، وهل ما إذا كانوا قادة أو ساسة، أم كانوا خلاصة لفكر الأمم ممثلين بالعلماء والفلاسفة والمفكرين والشعراء والفنانين، والأنبياء إن كانوا قد ظهورا في مسرح تاريخ تلك الأمام ، وهال يؤرخ التاريخ للجوانب السياسية والعسكرية بحساباتها وأبرز جوانبها، أم يؤرخ من حفظ فكر الأمة المعبر عن شخصيتها ، وهال يؤرخ التاريخ لشخصيات أم لحضارات لأفرد أم لأمم وهذه المشاكلة بدورها وان كانت مثار اهتمام المؤرخين الا ان الفلاسفة قاد لعبوا فيها الدور الأكبر ، إذ كان التحول في العصر الحديث من التاريخ لأفراد إلى التاريخ لحضارات قاد دعا إليها الفلاسفة، وأصبح التاريخ لحضارات يتخذ موقفا وسطا بين التاريخ والفلسفة فيما اصطلح على تسميته بفلسفة الحضارة.

شكل "الحكام التاريخي" محاور السؤال الثالث، وتتضح معالم المعالجة في حال يتصور التاريخ بأنه شيخ مسن مهيب الطلعة، ممسكا بيده قلما يسطر به على قرطاس الزمن حكمه على من دخلوا التاريخ ، وهنا يتوجب طرح السؤال بشكل أكثر وضوحا، حين يدور حاول أحقية المؤرخ في ارتادا

عباءة القاضي من اجل الحكم على أفعال واقوال الشخصيات، أو حين يتخذ موقف الغير المبالي وعدم الاهتمام باسم الحياد التاريخي وهال يكتفي بان يلتزم بالحياد أم أن عليه تبرير الأخلاقية بعض صانعي التاريخ وهذ الأسئلة ترتبط بالا شاك بالفلسفة الأخلاقية والفلسفة السياسية، وتنجم عنها بوضوح أسئلة أكثر عمقا كالتساؤل عن مدى التشابه بين أخلاق الدولة وأخلاق الفرد والتساؤل عن حضور الدولة لما يخضع له البشر من تقييم وأحكام، أم أنها من طبيعة مخالفة فلا تخضع لما يخضع له الأفراد العاديون .

ثالثاً : القصور في طبيعة التاريخ والنقص في تركيبه.

من الطبيعي في سلوك البشر كراهة الاعتراف بالقصور أو النقص ، ومن هنا يمكن من السهل فهم معارضة المؤرخين الشديدة لفلسفة التاريخ، لأن فلسفة التاريخ تقوم نظريتها على أساس نقص في طبيعة التاريخ، وهو لا يمتلكه" الفكر الفلسفي ومن الممكن إيجاد نقطة البداية في فهم القصور في تركيب التاريخ وتعزيز الفكر الفلسفي لدى اثنين من كبار المفكرين في التاريخ البشري، ألأول هو لابن خلدون ، الذي يعد المؤسس لفلسفة التاريخ، والثاني فهو "فولتير" وهو أول من أطلق تسمية "فلسفة التاريخ" على هذا النوع من المعرفة ، يقول ابن خلدون عن التاريخ **(هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون)** و العبارة تشير الى ان التاريخ هو مجرد أخبار وحوليات وتقويمات، ثم يقول في باطنه تحليل وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بان يعد في علومها وخليق **(وهذه العبارة تشير إلى فلسافة التاريخ التي هي على حد تعبيره أصيلة في الحكمة أو الفلسفة ومن بين علومها ويترتب على هذا أن يكون للتاريخ ظاهر وباطن)**، في حين يشير الظاهر عادة إلى ما هو ظاهري خارجي ، من الممكن أن يعده القصور، فان الباطن يشير إلى ما هو باطني حقيقي جواني كما في باطن الأشياء، وفي ذلك الإشارة الى ما يدل على تأكيد "ابن خلدون" على أن في التاريخ قصوراً يلزم المؤرخ البحث والتحري من اجل استكماله بما هو أصيل في الحكمة ، أما "فولتير" فقد كان أكثر صراحة في التعبير عن قصور التاريخ بقوله: **(إن بعض المؤرخين يهتمون بالحروب والمعاهدات ولكني بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة الالف واربعة الاف معركة ويضع مئات**

من المعاهدات لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، لازم ألتعرف الا على مجرد حوادث " تستحق عناء المعرفة) فواقع التاريخ يبقى بحاجة الى الحكمة ومسار ينقصه إدراك، وذلك ما أغفله المؤرخون واهتم به فلاسفة التاريخ، فوجد فريق منهم في مساره تعاقبا دوريا للحضارات كتعاقب الليل والنهار وكتعاقب الفصول، ووجد فريق اخر في مسار التاريخ دليل على عناية الله بالإنسان في حين وجد فيه فريق ثالث سجلا لإنجازات الإنسان قدما نحو الأمام.

رابعا: الإشكالية الفلسفية للتاريخ:

لما كان التاريخ كما نعرفه في الوقت الحاضر ناتج عن جميع الأحداث والوقائع التاريخية التي عبارة عن تراكمات من عمل الإنسان من الماضي حتى الحاضر، سواء كانت متعلقة امرها بالآثار أو الوثائق أو المخطوطات أو الكتاب أو الفنون أو المعالم الدينية أو الهجرات أو الحروب أو الغزوات أو المجاعات أو الحرائق أو اجتياح الأوبئة أو الاستكشافات الجغرافية أو العلوم أو الصناعات أو الاختراعات ... الخ ، أي كال حدث إنساني حصل في الماضي وأصبحت لدينا معرفة عنه ، هذا الكم الهائل من الأحداث والذي يضعنا أمام إشكالات فلسفية تباينات حولها المواقف الفلسفية ، ويمكن حصر تلك الإشكالات في ثلاث مسائل أساسية واجب علينا مناقشتها وهي :

المسألة الأولى متعلقة بالمعرفة التاريخية:

فهل كل ما نعرفه عن الماضي هو حقيقي بمعنى هل طرق بناء المعرفة التاريخية تتسم بالموضوعية ويمكن الوثوق فيها وما هو المنهج الذي يستخدمه المهتمون بالتاريخ لبناء معرفة حقيقية بأحداث الماضي يمكن أن يكون التاريخ مجرد سرد لأخبار الماضي ليس الا .

المسألة الثانية تتعلق بالتاريخ نفسه:

نسلط الضوء على مسار التاريخ ، وفيه نحتاج أن نتأمل التاريخ الإنساني في كلياً وليس في أجزائه ، بمعنى أننا سنتساءل عن مسار التاريخ الإنساني كله كيف تطور وكيف كان مسار هل يمكن

الحديث عن مسار واحد للتاريخ أم مسارات متعددة هل يسير التاريخ حقا في تجاه التقدم أم أن التاريخ الإنساني يعيد نفسه لا غير ويتقدم هل هو إذن تاريخ وهل هو التقدم تحديدا.

المسألة الثالثة تتعلق بدور الإنسان في التاريخ:

هل حقا كان الإنسان فاعلا في التاريخ ومؤثر فيه؟ أم أن التاريخ قوة جبارة تحكمت في مسار الإنسان ولم تترك له المجال مطلقا لتقرير مصير "الريف الفقر". تلك هي الإشكالات التي إذا ما قمنا بالتفكير فيها على غرار ما فكر فيه الفلاسفة، فننا سنتمكن حتما من وضع تصور كلي لما نحن عليه، لماضينا ولحاضرنا، ولمستقبلنا، وهنا تكمن أهمية فهم التاريخ.